Journal of Humanitarian and Applied Sciences - مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
(رقم الإيداع المحلي 95 / 2020) - (ISSN: 2706- 9087) - (معامل التأثير العربي شهادة رقم: 472 - 2020)
كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جـامعة المرقب
Volume 8 – Issue 15 المجلد 8 العدد 15

علاقة الفينيقيين بالجرامنت على الساحل الليبي خلال العصر الفينيقي

عبد الكريم علي محمد نامو

أستاذ مشارك – قسم التاريخ – مسلاته

كلية الآداب والعلوم/ جامعة المرقب

Received: 20/02/2023	Accepted:25/03/2023

Abstract:
The study dealt with the nature of relationship of the Phoenicians Grament to the Libyan coast during the Phoenician era, where the Phoenicians settled on the Libyan coast after their exit from their country on the eastern coast of the Mediterranean basin as a result of many reasons, including political, economic, social and environmental reasons, and founded commercial stations for rest, water food, supplies and discharge their products during their frequent going and returning from the western Mediterranean to trade and search for the equipment required for their advanced industry during that period. The most important of these stations were Leptis Magna, Cyrene and Sabratha. The relationship between the three stations and the Gramant tribe was friendly and distinctive between the merchants, the Gramants and their Carthaginian counterparts. They were exchanging trade goods coming from the desert eyelids, and goods coming to the stations. Jarma became an important hub where products were collected for commercial caravans across the desert to the oceans, and several road caravan routes were found from the oceans to Jarma and from Jarma to the oceans. The commercial relationship between the two parties has ended, as North Africa became under Roman control as a result of several political, economic and social motives.

Keywords: Phoenicians, Gramants, Commercial goods, Land caravans, oceans.

الملخص

تناولت الدراسة علاقة الفينيقيين الجرامنت على الساحل الليبي خلال العصر الفينيقي، حيث استقر الفينيقيون على الساحل الليبي بعد خروجهم من بلادهم على الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط نتيجة أسباب عديدة منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية وأسسوا عليها محطات تجارية للراحة والتزود بالماء والمؤن وتصريف منتجاتهم خلال فترة ذهابهم وعودتهم من غرب البحر المتوسط للتجارة والبحث عن المعادن المطلوبة لصناعتهم المتقدمة خلال تلك الفترة، فأهم هذه المحطات لبدة الكبرى وشحات وصبراتة.

كانت العلاقة بين المحطات الثلاثة وقبيلة الجرامنت علاقة ودية ومميزة بين التجار والجرامنت ونظرائهم القرطاجيين، حيث تبادلوا السلع التجارية القادمة من جفون الصحراء، والسلع القادمة إلى المحطات. وصارت جرمة مركزاً مهماً تتجمع فيها المنتوجات لتنقلها القوافل التجارية عبر الصحراء إلى المحيطات ووجدت عدة طرق للقوافل البرية تنطلق من المحيطات إلى جرمة ومن جرمة إلى المحيطات.

وقد انتهت العلاقة التجارية بين الطرفين. بوقوع شمال أفريقيا تحت السيطرة الرومانية نتيجة لعدة دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الفينيقيون، الجرامنت، السلع التجاري، القوافل البرية، المحيطات.

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هاجر الفينيقيون من وطنهم الأصلي على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، إلى غربه لجلب المعادن والبحث عن أماكن جديدة للاستقرار فيه، وقد عرفوا بالكنعانيين نسبة إلى أرض كنعان التي استقروا فيها والتي تعني الأرض المنخفضة، أما تسمية الفينيقيين فقد أطلقها عليهم الإغريق الذين شاهدوهم وتعاملوا معهم، وهي تعني اللون الأحمر، أو بسبب استعمالهم الصبغة الحمراء التي صنعوها وتاجروا بها.

إن وقوع الوطن الفينيقي بين القوى الدولية الكبرى التي تحاول السيطرة عليه، أدى إلى عجز الفينيقيين عن بناء دولة موحدة تقف في وجه هذه القوى، وترتب على ذلك ظهور عدة أسباب بيئية واقتصادية وسياسية واجتماعية، اضطرتهم إلى الهجرة والنزوح عن وطنهم والبحث عن أوطان جديدة؛ حيث استقروا على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط وأسسوا عدة محطات لغرض الراحة من عناء السفر الطويل، وللتزود بالمؤن ولتبادل السلع المصنعة التي يتاجرون بها، بالمنتوجات المحلية خلال سفرهم إلى غربي البحر المتوسط، وأن هذه المحطات ما لبثت أن تحولت إلى مراكز آهلة بالسكان، وأن اختيارهم هذا الساحل لتأسيس المحطات عليه، ليس بالأمر السهل ولا من باب الصدفة، وإنما نتيجة قيامهم بعدة رحلات إلى غربي المتوسط ومرورهم عليه، وللأهمية الاقتصادية التي يتمتع بها الساحل، كونه يقع في أقرب نقطة عند نهاية طرق القوافل التجارية البرية القادمة من الصحراء.

من أسباب اختيار الموضوع: إظهار نوعية العلاقة التي كانت قائمة بين الفينيقيين والقبائل الجرمنتية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة:

في إبراز دور التجارة الصحراوية في ازدهار مدينة جرمة والمحطات التجارية، وأهم طرق القوافل والسلع التي تأتي عن طريقها.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي السردي التحليلي.

وتم تقسيم الدراسة:

إلى ثلاثة مباحث فتناول المبحث الأول مجيء الفينيقيين والتسمية، والأسباب والظروف التي أدت بهم إلى الهجرة وتأسيس المحطات.

أما المبحث الثاني:

فيوضح العلاقة بين الفينيقيين والقبائل الجرمنتية، والتعرف على سلع العبور من الجنوب إلى الشمال، وسلع العبور من الشمال إلى الجنوب، وطرق القوافل التجارية البرية الواصلة إلى المحطات، ووسائل النقل وطريقة التبادل التجاري.

وتناول المبحث الثالث:

الأسباب التي أدت إلى نهاية العلاقة.

المبحث الأول: مجيء الفينيقيين وتأسيس مراكزهم التجارية

هاجر الفينيقيون منذ الألف الثالث ق.م من شبه الجزيرة العربية مع الآموريين في هجرة واحدة نتيجة ضغط الظروف الاقتصادية في اتجاه الشمال؛ حيث استقروا فوق شريط ضيق من الأرض على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، يمتد من النهر

الكبير شمالاً حتى جبل الكرمل جنوباً، ويبلغ طوله حوالي مائة ميل تقريباً، ولا يزيد عرضه على عشرة أميال، يحده من الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق فتحده جبال لبنان الشرقية والتي اعتبروها حاجزاً طبيعياً يحميهم من أي هجوم قد يأتيهم من هذه الجهة (ج. كونتنو، 1948م، ص ص27-28).، ولقد أشار المؤرخ هيرودوت Herodote إلى أن الفينيقيين ليسوا من سكان البلاد الأصليين، وإنما وصلوا إليه من البحر الأرتيري أي: البحر الأحمرHerodotus I,1.-2 ، ويذكر الجغرافي استرابون Strabon أن سكان الخليج العربي أكدوا له بأنهم يسمون بعض المدن باسم صيدا وصور وأرواد وأن معابدهم تشبه معابد الفينيقيين3.-Strabon, 1, 11-35 XXVI, 27 .

وعلى طول الساحل شيدوا مجموعة من المدن ازدهرت من بينها مدينة صور التي بلغت شهرتها الآفاق، ويعود الفضل في ازدهارها لاشتغالها بالتجارة مع معظم أرجاء العالم القديم، فكانوا أفضل وأمهر تجار خلال تلك الفترة (عصفور، د.ت، ص278.)، وقد عرفوا بالكنعانيين نسبة إلى أرض كنعان التي استقروا فيها، والتي تعني الأرض المنخفضة، أما تسمية الفينيقيين Phoiniks فقد أطلقوا عليهم الإغريق (فيليب د.ت، ص ص85-87). الذين شاهدوهم وتعاملوا معهم، وهي تعني اللون الأحمر، أو الشعب الأحمر الذي يشبه الدم أو بسبب لون جلودهم التي لوحتها الشمس، أو ربما بسبب استعمالهم للصبغة الحمراء التي تستخرج من محار المورکس (Murix) الذي يتوفر بوفرة على الساحل، وتارة قصد بها النخلة التي تنمو على شاطئ المدن الكنعانية، ومنذ إطلاق التسمية الإغريقية أصبح سكان الساحل يعرفون بالفينيقيين وسميت المنطقة فينيقيا Phenicia (كونتنو، ص ص45-46)..

هذا وقد أثرت هذه البيئة في مستقبل الفينيقيين وتاريخهم، حتى ليقال: إن تاريخهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية كانت من صنع هذه البيئة، ذلك أن وقوع الوطن الفينيقي في مهب التيارات العالمية بين الغزاة الآسيويين من ناحية الشرق، والقوات المصرية من ناحية الغرب، جعل هذا الوطن أشبه شيء بالجسر يعبره هؤلاء في كرهم وفرهم، وكانت الجيوش المصرية لا تفتأ تطرق أبوابهم وتحاصر مدنهم وتدك قلاعهم (فيليب ، 1959م، ص115)..

كذلك لقى الفينيقيون المتاعب نفسها على أيدي الشعوب السامية المستقرة بأرض بلاد الرافدين، حين بدأت تتطلع للاستيلاء على الشرق الأدنى القديم بأكمله ووسط هذه الظروف القاسية، وبين القوى الدولية الكبرى عجز الفينيقيون عن بناء دولة موحدة، فأسست كل جماعة منهم مدينة على الساحل أو على الجزر الصغيرة المقابلة له، وبذل الفينيقيون جهدهم في تحصين هذه المدن ببناء الأبراج والأسوار العالية، وسرعان ما بدأت هذه المدن تتنافس على الزعامة والسيطرة، هذا وقد حاولت المدن الفينيقية أن تواجه ما قد تتعرض له من أخطار مشتركة بإقامة أنواع من التحالف والترابط بينها، تتزعمه أقواها وأوفرها منعه، ولكن هذه الأحلاف كانت تنتهي على أثر انتهاء الخطر الذي يؤدي إلى قيامها، وسرعان ما تعود المدن الفينيقية من جديد إلى التنافس والتناحر فيما بينها، وكان بعضها يحاول الاتصال بالمصريين على حساب البعض الآخر، كما يتضح من رسائل تل العمارنة[1]، (Amarna Tellal) التي تعود إلى القرن الثالث عشر ق.م.

[1] رسائل تل العمارنة: هي عبارة عن استغاثة أرسلها بعض حكام المدن الفينيقية إلى فراعنة الدولة المصرية، يخبرونهم بما حدث من مؤامرات وخيانات ضدهم، وتنتهي كل رسالة بطلب الإمدادات، ولكن الفراعنة لم يستجيبوا لتلك الصرخات،

وهكذا نرى أوضاع الفينيقيين عسيرة بين القوى الكبرى، ولهذا كانوا لا يثيرون من جانبهم حرباً ضد غيرهم، بل على العكس كانوا دائماً يحنون رؤوسهم أمام تيارات الغزو القادمة من الشرق أو الغرب، ويشترون السلامة بدفع الجزية التي يحصلون عليها من تجارتهم الواسعة (فيليب ، ص115.)، ولقد توفرت عدة أسباب وظروف اضطرتهم إلى الهجرة والنزوح عن وطانهم والبحث عن أوطان جديدة تتوفر بها سُبل العيش الكريم ومن جملة الأسباب والظروف ما يلي:-

أولاً: أسباب بيئية:-

وتتمثل في طبيعة بلاد الفينيقيين التي عجزت عن مدهم بمقومات العيش، والتي كان لها أبلغ الأثر في توسعهم وانتشارهم على شواطئ البحر المتوسط؛ حيث استقر الفينيقيون فوق رقعة ضيقة من الأرض، وهي محصورة بين البحر في الغرب، وسلسلة جبال لبنان في الشرق؛ حيث لم يفكر السكان في استيطانها، بل تركوها باعتبارها حاجزاً طبيعياً ضد الأمم التي تحاول السيطرة عليهم من الشرق، أما الجبال الغربية القريبة من البحر والتي يدوم فيها موسم الأمطار مدة ستة أشهر، فإنها استغلت في الزراعة وحُولت إلى مدرجات انتشرت عليها محاصيل الحبوب، والفواكه، وأشجار الزيتون، بالإضافة إلى وجود غابات الأرز، والسنديان، والصنوبر، وهذه الأرض لا تكفي احتياجات السكان من الغذاء، ولا من ناحية الاستيعاب بسبب كثرة عددهم (غانم، 1974م، ص ص47-48).

ثانياً: أسباب اقتصادية:-

أدت قلة الأراضي الصالحة للزراعة في البلاد من جهة، وغلبة الطابع الصخري على معظمها من جهة أخرى، إلى عدم الاعتماد على الزراعة، مما ترتب على ذلك تحويل أنظارهم إلى التجارة البحرية التي توفرت لها مقومات منها: توافر الموانئ الطبيعية في ساحل مدنهم، وامتلاكهم للجزر القريبة منها، وتوافر الأخشاب بكثرة مما ساعد في بناء السفن، ووجود بلادهم في تقاطع طرق التجارة البرية الدولية القادمة من وادي النيل عبر سيناء، ومن شمال سورية وآسيا الصغرى، وبلاد الرافدين، بالإضافة إلى البحث عن المواد الخام الأولية اللازمة لصناعتهم المتمثلة في صناعة البرونز، والزجاج، والأصباغ الأرجوانية والعاج، وكذلك البحث عن أسواق جديدة لتسويق منتجاتهم، وللبحث عن أصداف الموريكس (الناضوري، 1981م، ص157.).

ثالثاً: أسباب اجتماعية:-

وهي تزايد في أعداد السكان، يفوق قدرات المدن الفينيقية في استيعاب هذه الأعداد الكبيرة من السكان، مما ترتب عليه ظهور الاضطرابات والخلافات على السلطة بين السادة أصحاب المال والجاه، وبين غيرهم من العامة (الشيخ، 1993م، ص37.)، ويتضح ذلك الصراع على السلطة في الذي حدث داخل الأسرة الحاكمة في مدينة صور، عند نهاية القرن التاسع ق.م، بين آليسا (Elissa) وشقيقها بغماليون (Pygmalion) حول وراثة العرش، لاسيما بعد وفاة والدهما الملك متان (MattanI) وقتل بغماليون زوج أخته وخاله الكاهن أشرباس (Acherbas) طمعاً في ثروته، والاستيلاء على الحكم من

وهي تصور في مجموعها عدم الاستقرار السياسي الذي كان يسود فينيقية. ينظر عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ص258.

شقيقته، عندها قررت الانسحاب والخروج من هذا الصراع صحبة مؤيديها إلى الهجرة إلى أراضي جديدة بحثاً عن الأمن والسلامة، وكان هذا سبباً في دفعها للهجرة نحو شمال أفريقيا (عبودي، 1991م، ص ص122-123.).

رابعاً: أسباب سياسية:-

تعود إلى كثرة الحروب التي شهدتها بلادهم، بين القوى الدولية الكبرى، والمتمثلة في الدولة المصرية، والبابلية، والحيثية، والآرامية، والآشورية، والعبرانية، والفلسطينية، والفارسية، وهي تحاول السيطرة عليه والاستفادة من خيراته، ولهذا ضجر الفينيقيون من تشييد الأبراج والحصون العالية دفاعاً عن مدنهم من الغارات المتتالية، للشعوب الغازية واحتلالها لأرضهم وموانئهم، وإجبارهم على دفع الجزية بصورة دائمة (الماجدي، 2001م، ص43).

ونتيجة لتلك الأسباب السابقة الذكر جاء الفينيقيون إلى غرب المتوسط، في مطلع الألف الأول ق.م، من أجل التجارة، وللبحث عن أماكن جديدة لتصريف منتجاتهم، والبحث عن المواد الخام الأولية، وفي بداية أمرهم لم تكن لهم مطامع سياسية، تهدف إلى الاستيلاء على الأرض، خلال فترة الريادة الأولى، وقبل ظهور قرطاجة على مسرح الأحداث، بل الحاجة هي التي اضطرتهم إلى إنزال أقدامهم على الساحل، ليست الرغبة في التوسع، وإنما الهدف الوحيد أن يأسسوا فيه محطات صغيرة ترسوا فيها سفنهم، لإنزال البضائع أو لأخذ حاجياتهم من الماء والغذاء، ولإصلاح سفنهم، ولأخذ قسط من الراحة من عناء الرحلة الطويلة والتجذيف المستمر (البرغوثي، 1971م، ص305)، ويرى بعض الباحثين أن المصلحة المشتركة بين القبائل الليبية والوافدين الجدد من حيث تبادل السلع التجارية بينهم هي التي دفعت القبائل للتعاون معهم على إقامة المحطات التجارية على ساحلهم، تجد فيه سفنهم السلامة والأمن، ويجد فيه الملاحون لوازمهم وأقواتهم؛ حيث إن تعاون القبائل الليبية معهم لفت أنظارهم لإمكانية الاستفادة من الساحل (الجربي، 1425م، ص62.)، وقد روعي في اختيار مواقع محطاتهم على الساحل بشكل يتناسب مع مواقع مدنهم في الوطن الأم؛ حيث تكون على الساحل، ويتوفر بها مرفأ جيد لرسو السفن، ويتوفر بها ظهير زراعي لمدها بالغذاء (مياه – مزروعات – لحوم) ويفضلون وجود مرتفع صخري لإقامة مقابر لموتاهم، ولصنع أغطية فتحات المقابر، وعلى أن تكون المسافة بين المحطة والأخرى محدودة المسافة؛ لأن سفنهم البدائية تواصل رحلاتها نهاراً، وتتوقف ليلاً، والمسافة بين المحطة والثانية تعادل مسيرة نهار واحد أي 40 ميلاً (الماير، 2001م، ص ص117-118.).

المحطات الفينيقية:-

1 – لبتس ماجنا Leptis Magna:-

حيث شيدت إلى الشرق من مدينة الخمس الحالية بحوالي كيلومتر تقريباً، عند مصب وادي لبدة، الذي أتاح لها مرفأً جيداً لرسو السفن الصغيرة، تقل فيه العوائق الصخرية التي يتعذر فيها الملاحة بالأساليب التقليدية القديمة (الكيب، ص ص18-19).، وكذلك وجود وادي كينوبس Cinyps المعروف بوادي كعام، إلى الشرق منها، والذي ينبع من مرتفعات آلهات الجمال (كاوبر، 1897م، ص ص107-111.)، وقد أشارت المصادر القديمة إلى خصوبة أراضيه ذات التربة الجيدة، وكثرة إنتاجه من الحبوب (هيرودوت، 2003م، ، ص133)..

والاسم الفينيقي الذي أطلق على المحطة لبكى Lygy أو لفكى؛ حيث ذكر من خلال عملة نقدية فينيقية (Antonie, 1940 –p.10)، تعود للقرن الأول ق.م، والبعض الآخر إلى أوائل القرن الأول الميلادي(باقر، د.ت، ص13).،

وقد ورد ذكرها عند الجغرافي استرابون بصيغة ليبتس Lepcis (استرابون، 2003م، الفقرة 18، ص112). أما وصفها بالكبرى Magna تمييزاً لها عن مدينة لمطة Leptiminus بتونس على ساحل سرت الصغرى (ماتينغلي، 2009م، ص299.).

أما إنشاؤها فقد ذكر سالوست أن مهاجرين من مدينة صيدا خرجوا منها نتيجة صراعات داخلية، على عادة المدن الفينيقية، نتج عنها اتجاههم نحو الغرب، وتأسيس لبدة (الكيب، مرجع سابق، د.ت ص20).، وقد دلت الحفريات الأثرية التي أجريت عام 1960م-1961م على وجود مقبرة فينيقية تحت المسرح الروماني الموجود حالياً في المدينة، كما عثر على بعض الكتابات الفينيقية، وأن المدينة لم تستوطن بصفة دائمة قبل أواخر القرن السادس ق.م (انديشة، 1993م، ص35.).

2 – ويات طرابلس:-

أنشأها الفينيقيون على مصب وادي المجينين، على مقربة من قرى عديدة تحيط بالمحطة ساهمت في مدها بالغذاء والماء (بن خليفة، 2009م، ص101).، وهي من المحطات المهمة، وكانت تُعرف ببلدة الآله البونيقي ملقارت، ويستدل على ذلك من خلال القطعة النقدية التي تحمل هذا الاسم (أبوحامد، " 1968م، ص127).، كما ذكر بطليميوس أن ويات أو أويا هو الاسم الفينيقي القديم لمدينة طرابلس (بطوليميوس " 2004م، ص43).، وأن ويات قد أسسها سكان جزيرة صقلية الفينيقيين بالتعاون مع السكان المحليين بما يفيد ومصلحة الطرفين بعد هجرتهم من وطنهم الأم (ltalicus, punica, 1, Book 111,257)، هذا و لم يعرف تاريخ تأسيس المحطة، ولكن أحد الباحثين يرجح أنها أنشئت في القرن الخامس ق.م (انديشه، ص36.)، وقد عثر في أحد الأماكن بالقرب من الباب الجديد بطرابلس على أربع قطع فخارية إغريقية يعود تاريخها إلى القرن الخامس ق.م، كما عثر على مجموعة أخرى من الأواني الفخارية الإغريقية تعود إلى نفس الفترة في منطقة قرقارش التي تقع غرب طرابلس، عثر فوق ربوة على إحدى المقابر استمر الدفن فيها حتى القرن الخامس الميلادي (المليار، 2001م ص140)..

3 – صبراته Sabria

ثالث المحطات الكبرى التي أسسها الفينيقيون على الساحل الليبي؛ حيث ورد اسمها في النقوش باسم صبرات Sabrat وصبراتن Sabrathan وتعني سوق القمح (عيسى، ص13).، وكان الإغريق يطلقون عليها صبراته مدينة وميناءً (عيسى، ص13).، وهذا يدل على أن المدينة تنقسم إلى مدينتين الأولى تقع بالداخل، وهي تدفع الضرائب للمدينة الثانية التي تقع على ساحل البحر، وقد أطلق الإغريق على المدينة الأولى اسم بروتونس Abrotonos أما الثانية فقد اعتبرت ميناءً للمدينة الأولى، وعرفت باسم صبراته Sabria (الجربي، 1425م ص73.)، هذا وقد ظهر اسم صبراته على العملة البونيقية باسم صبراتن Sabrathan منذ القرن الأول ق.م (عيسى، ص13)..

المبحث الثاني: العلاقة التجارية بين الجرامنت والمحطات الثلاثة

كان الاقتصاد الفينيقي يعتمد على التجارة، وهذا ما جعلهم يأسسون على الساحل الليبي العديد من المحطات والتي تحولت مع مرور الزمن إلى مراكز تجارية يقطنها مجموعة من الفينيقيين كما سبق ذكرها، وعندما استقروا فيها أخذوا يصطنعون

الود والمسالمة مع السكان الأصليين، فلا يثيرون في نفوسهم أي فزع أو شك، ومن تم يتلائمون معهم دون أن ينشب بين الطرفين قتال، فإذا استقروا قدمت مجموعات أخرى إلى هذه المحطات الصغيرة، بعد أن تتحول إلى أسواق تجارية دائمة، آهلة بالسكان عن طريق الهجرات المتوالية (مهران، 1990م، ص172؛ أوبوايه، 1986م، ص259).؛ لأن حضورهم إليه كان من أجل التبادل التجاري عن طريق المقايضة، وليس من أجل السيطرة (رايت، 3م، ص24.)، مما كان له الأثر الجيد في علاقتهم بالسكان المحليين؛ حيث رحبوا بهم و لم يرفضوا وجودهم بينهم؛ لأن هؤلاء القادمين جاءوا ببضائع يحتاجها السكان، وأخذوا مقابلها المواد الأولية المتوفرة عندهم، ومن غير المستبعد أن يكون السكان المحليين قد ساهموا في إنشاء هذه المحطات وتطورها (الناضوري، 1981م، ص ص165-166.).

ولأهمية المنطقة والساحل حاول الإغريق تأسيس مستعمرة إغريقية في منطقة وادي كينوبس بالقرب من لبدة الكبرى بقيادة دوريوس ابن ملك أسبارطه، وقد استطاع القرطاجيون بمساعدة السكان المحليين من قبيلة المكاى Macae من طرد الإغريق وتدمير مستوطنتهم في وادي كينوبس حوالي عام 517ق.م بعد ثلاث سنوات من إنشائها (انديشه، ص35.)، كما أشار هيرودوت إلى أن الساحل البحري يبدأ منه أقصر طريق للاتصال بين البحر وبلاد الجرامنت (هيرودوت، 2003 الفقرة 183، ص125.)، وذكرهم بأنهم كثيرو العدد، وعندهم عربات التي تجرها أربعة خيول؛ حيث يطاردون بها الأثيوبيين (هيرودوت ، 2003 الفقرة 183، ص125)، وأن بلادهم تقع في جنوب ليبيا وعاصمتهم مدينة جرمة في وادي الآجال في منتصف فزان تقريباً، وتمتد من الغرب إلى الشرق، قرابة المائتي كيلومتر ما بين خط الطول 13ْ – 14ْ شرقاً، كما أنها تقع على خط العرض 30ْ – 26ْ شمالاً، والوادي عبارة عن أخدود منخفض من الأرض تحده من الجنوب سلسلة من الجبال الصخرية تعرف بحمادة مرزق، بينما تحدها من الشمال كثبان عالية من الرمال تكون الحافة الجنوبية لصحراء أوباري، ويتراوح اتساع الوادي ما بين النصف كيلومتر والعشرين كيلومتر، وأن المياه الجوفية قريبة من سطح الأرض في بطن الوادي، وكثيراً ما تظهر على شكل عيون أو مستنقعات، وعلى هذه المياه الجوفية قامت الزراعة التي مارسها السكان خلال الفترة القديمة (أيوب، 1969م، ص25.).

أما فيما يتعلق بالعلاقة التجارية بين الجرامنت وجيرانهم من القبائل الليبية وكذلك جيرانهم القرطاجيين، فقد أشير إلى وجود علاقات تجارية بين الجرامنت وهذه المحطات، حيث ذكر أن تاجراً فينيقياً يدعو ماجو Mago عبر الصحراء ثلاث مرات بتجارته مع قوافل الجرامنت مرافقاً وتحت حمايتهم، وهذا يدل على أن العلاقات كانت ودية ومميزة بين التجار الجرامنت ونظرائهم القرطاجيين (أيوب، " 1968م، ص157.)، الذين لابد أن تكون لهم وكالات تجارية لاستقبال قوافل الجرامنت المحملة بسلع أواسط أفريقيا وتبادل المنتوجات الشمالية معها (هويدي، 2010م، ص115.)، ويستدل على وجود جالية قرطاجية مستقرة في مدينة جرمة من خلال المقابر الفينيقية التي عثر عليها في المدينة (الجربي ، 1425م ص79.).

لعبت السلع التجارية القادمة من جنوب الصحراء دوراً كبيراً في ازدهار التجارة البرية الآتية من أواسط إفريقيا، فقد أصبحت جرمة مركزاً مهما تتجمع فيه المنتوجات لتنقلها قوافل الجرامنت عبر الصحراء إلى المراكز التجارية؛ حيث تباع إلى التجار القرطاجيين، مقابل المواد التي يجلبونها معهم من عالم البحر المتوسط.

السلع التجارية:-

أولاً: سلع العبور من الجنوب إلى الشمال:-

وفي مقدمة سلع العبور التي تنقلها القوافل الجرامنتية إلى المراكز الساحلية، والتي يتحصل عليها القرطاجيون منهم وهم بدورهم ينقلونها إلى الأسواق في حوض البحر المتوسط الأحجار الكريمة، وفي مقدمتها الفيروز الأخضر والذي عُرف باسم الحجر القرطاجي Carthoginian Atones كما أشار إلى ذلك استرابون (استرابون، 2003م الفقرة 19، 12.)، كما مارست قبائل الجرامنت تجارة الرقيق، والذين يتحصلون عليه من مطاردة الأثيوبيين سكان الكهوف، بالعربات التي تجرها أربعة خيول؛ لأنهم أسرع في الجري من جميع البشر، كما أشار إلى ذلك هيرودوت (هيرودوت، 2003 الفقرة 183، 125.)، وقد استفادت قرطاجة في الفترة اللاحقة من هذه التجارة في توفير الأيدي العاملة في مجال الصناعة والزراعة (بوفيل، 1988م، ص59).، ويعد الذهب، والفضة، والعاج، وريش النعام وبيضه، وجلود الحيوانات، والأخشاب الثمينة من سلع العبور المهمة (أبوحامد، 1968م، ص131.)، بالإضافة إلى العنبر والشب (الياس، 1979، ص204.)، وتعتبر من السلع المهمة ومن المواد المطلوبة في المراكز الساحلية أحجار الملح الفاخر والتي تباع بمثل حمولته ذهباً، وهي تستعمل في تجفيف الأسماك (خشيم، د.ت، ص208.)، كما تاجرت قبائل الجرامنت في منتوجاتها المحلية وفي مقدمتها الخيول التي بلغ إنتاجها السنوي حوالي المائة ألف مهر، وكذلك الثيران والأبقار (استرابون، 2003 الفقرة 19، ص113.).

ثانياً: سلع العبور من الشمال إلى الجنوب:-

أما عن سلع العبور التي تأتي إلى المحطات على ساحل البحر بواسطة القرطاجيين ومن ثم تستوردها القوافل الجرامنتية وتنقلها إلى مدينة جرمة، تعد الأقمشة الحريرية، والصوفية، والديباج، والمعادن من رصاص وقصدير، ونحاس، ومشغولات معدنية، من رماح، ودروع، وخود (Bates, O, 1970, p.103)، والمصنوعات الزجاجية (الأبيض، 1998م، ص49)، بالإضافة إلى الأواني الفخارية المتعددة الأغراض وخاصة المصابيح (المحفوظي " 1988م، ص17).، والزيوت، والخمور التي تعبأ في الأمفورات الكبيرة، وتحمل على عربات بها فتحات لتثبت هذه الجرار (أيوب، "1969 ص187.)، ومن السلع التي حاول الجرامنت الحصول عليها وكانوا مولعين بها الإزار الروماني المصنوع من الجلد(أيوب، "1969 ص187.).

أما عن وسيلة التبادل التجاري بين الطرفين فمن المرجح أنها تعتمد على نظام المقايضة في البلديات الأولى، وفقاً لرواية هيرودوت عن التجارة الصامتة، التي مارسها القرطاجيون مع الليبيين على الساحل الغربي لإفريقيا، وفي الفترة اللاحقة ربما اعتمدت المحطات الثلاث على العملة القرطاجية بحكم التبعية لها ويستدل على ذلك من خلال المكتشفات الحديثة في مدينتي لبدة وصبراته والتي تحتوي على مجموعة من العملات النقدية تعود إلى أواخر القرن الرابع الثالث ق.م تشبه عملة قرطاجية (هيرودوت، 2003 الفقرة 196، ص ص132-133).

وسائل النقـــــــل:-

شهدت الصحراء الكبرى خلال الفترات القديمة عبور آلاف القوافل التجارية، عبر بحار الرمال والهضاب الواقعة بين ساحل البحر المتوسط والبلدان جنوب الصحراء، ولقد أشارت الرسوم الصخرية التي وجدت في جنوب الصحراء إلى استخدام الإنسان الخيل والحمير في هذه القوافل، عبر جر العربات (أيوب، 1969 " ص184.)، وقد عرف الجمل لأول مرة في شمال

أفريقيا مع قدوم الحملة الفارسية على مصر في القرن الخامس ق.م(أيوب، 1969 " ص184.)، ومن المرجح استخدام الثيران المسرجة في القوافل الصحراوية قبل فترة الجفاف؛ حيث ظهرت على عدد من النقوش بالصحراء الكبرى(أيوب، 1969 " ص186.).

طرق القوافل التجاريـــــة:-

لقد استفاد الفينيقيون من تجاربهم السابقة أثناء وجودهم في بلادهم الأصلية؛ حيث أقاموا في الأماكن التي تنتهي عندها القوافل التجارية البرية، وحرصوا على أن تقوم أحسن العلاقات بينهم وبين جيرانهم (أوبوايه، 1986 ص258.)، ولهذا أنشأوا المحطات على ساحل البحر، والتي يفصل بينها وبين أواسط أفريقيا، مصدر المنتوجات الأولية، منطقة صحراوية مترامية الأطراف، تمتد من الشرق حتى الغرب، وتتكون من بحار الرمال والهضاب، وهي قليلة السكان والمياه، وعديمة الأمطار تقريباً، ولهذا حاول الإنسان مُنذ القدم عبور هذه الصحراء عن طريق القوافل الصحراوية، وقد لاحظ الإنسان بعد عدة تجارب أن أنسب منطقة لعبور الصحراء كان عن طريق طرق القوافل البرية، التي تبدأ من المحطات الفينيقية على ساحل البحر المتوسط؛ لأن الرصيف البحري يدخل في اليابسة لأقصى مداه لداخل القارة الإفريقية، مما يقصر المسافة بين جنوب الصحراء والمراكز الواقعة على البحر، بالإضافة إلى كثرة الواحات والآبار وقربها من بعضها البعض، وامتداد الأرض الصخرية من الساحل إلى الجنوب، وهي تساعد حيوانات النقل من السير عليها (أيوب، 1969 " ص182.).

طرق القوافل التي تربط المحطات بجرمة:-

1) طريق ينطلق من صبراته إلى كيدامس غدامس الحالية مروراً بصحراء أوباري ثم إلى أدرى ومنها إلى جرمة، وهذا الطريق من أهم الطرق التجارية بالنسبة لمدينة صبراته، وكان عاملاً في أزدهار المدينة اقتصادياً (ماتينغلي، 2009 ص378.).
2) طريق يبدأ من لبدة الكبرى إلى غيراسا قرزة الحالية عبر وادي زيزامت إلى براكوم براك الحالية، ومنها سبها عبر وادي الآجال حي مدينة جرمة (أبوحامد، " 1968م، ص121)..
3) طريق ينطلق من أويات إلى غريان ومنها إلى مزدة ومن ثم غيراسا بعدها يستمر عبر الواحات إلى مدينة جرمة (هويدي، 2010م، ص ص 117-118.).

وكانت هذه الشبكة الكبيرة من طرق القوافل البرية تسير بجانب آبار المياه والعيون القريبة من بعضها البعض، والتي تحل مشكلة التزود بمياه الشرب للإنسان والدواب، والتي تعاني منها القوافل التجارية البرية في الصحراء على حساب السرعة وحمولة القوافل من السلع التجارية (أيوب، 1969م، ص183)..، بالإضافة إلى توفير جزء من الغذاء والمتمثل في صيد الحيوانات البرية، والتي تتوفر بأعداد كبيرة وأنواع عديدة منها الغزال والودان، والتي حلت مشكلة التموين والغذاء بالنسبة للمسافرين (أيوب، 1969م، ص201.)..، وهذه القوافل البرية تسير بجانب الأراضي الصخرية؛ حيث تساعد العربات التي تجرها الخيول والحمير على التحرك السريع، بعكس الأراضي الرملية التي تغوص فيها أقدام هذه الحيوانات (لوت، 1967م، ص ص130-131.)، وهذه الطرق لها نظام حماية ضد اللصوص وقطاع الطرق، تتمثل في قلاع عسكرية محصنة بسور مرتفع ذي أبراج، ويوجد بداخله بئر للشرب، ويشرف على الوادي في العادة ويستعمل كخزان لماء المطر، كما كان يستعمل

كمرعى لحيوانات النقل (أيوب، 1969م، ص ص 201-202)، ومن مهام هذه القلاع إيواءُ الخيول والدواب ومنحها الوقت الكافي للراحة، أو استبدالها بغيرها أثناء الطريق، وقد استقرت بعض القبائل حول هذه القلاع العسكرية أيوب، 1969م، ص202.).

المبحث الثالث: نهاية العلاقة بين الطرفين

انتهت العلاقة التجارية بين الطرفين بوقوع منطقة شمال أفريقيا تحت السيطرة الرومانية، وهذه السيطرة لها عدة دوافع منها:-

1 – الدافع السياسي:-

يتمثل في محاولتهم القضاء على عدوهم الأول قرطاجة، والقضاء على القوى المحلية الناشئة المتمثلة في المملكة النوميدية التي تحاول أن تخيف روما بتطلعاتها بالاستيلاء على المناطق المجاورة لها، وتعمل على مناهضة مطامع التوسع الروماني في شمال أفريقيا(عيسى، ص34)، وبذلك تكون قوة تهدد المصالح الرومانية في غربي البحر المتوسط، وتشكل قوة تحل محل قرطاجة جديدة، وما التدخل في تقسيم المملكة النوميدية، ومحاربة يوغرطا إلا لهذا الغرض، وهو عدم السماح بوجود منافس قوي في غربي البحر المتوسط، وكان الضمان الوحيد للسيطرة على هذا البحر، القيام باحتلال شمال أفريقيا، والقضاء على القوى المحلية، وضمان استمرار الوجود العسكري الروماني فيه(انديشه، ص55-56.).

2 – الدافع الاقتصادي:-

يعتبر الدافع الاقتصادي من أهم الدوافع المهمة لغزو الرومان لشمال أفريقيا؛ حيث كان النشاط التجاري عبر الصحراء والمتمثل في جلب المواد الخام الأولية، التي تأتي عن طريق القوافل التجارية البرية، منذ الفترة الفينيقية، أحد أهم الدوافع التي شجعت الرومان على احتلال شمال أفريقيا (عيسى، ص43)، بالإضافة إلى توفير المحاصيل الزراعية وفي مقدمتها الزيتون والشعير والقمح الذي يعتبر الغذاء الرئيس للشعب الروماني (عيسى، ص40).

3 – الدافع الاجتماعي:-

يرى أحد الباحثين أن الاستعمار الروماني لشمال أفريقيا قد فرضته الظروف الاجتماعية التي عاشها الشعب الروماني خلال القرنين الأول ق.م والأول الميلادي، فقد كان قادة الفرق الرومانية يمنون جنودهم بالأراضي الزراعية الخصبة في شمال أفريقيا، إذا ما انتصروا في الحرب، بالإضافة إلى تشجيع الجنود على الهجرة والاستقرار في شمال أفريقيا (انديشه، ص58.).

الخاتمـــــــــة

تناولت الدراسة علاقة الجرامنت بالفينيقيين على الساحل الليبي خلال العصر الفينيقي، وقد انتهت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج منها:-

- توصلت الدراسة إلى الدوافع البيئية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كان الأثر الكبير في خروج الفينيقيين من وطنهم إلى غرب البحر المتوسط.

- الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للساحل الليبي هي التي دفعت الفينيقيين إلى تأسيس محطات تجارية محلية خلال تلك الفترة.

- المصلحة التجارية هي التي دفعت القبائل الليبية للتعاون مع الفينيقيين من أجل إقامة محطات على ساحلهم، والتي تحولت إلى مراكز آهلة بالسكان فيما بعد.

- العلاقات الودية بين الفينيقيين والقبائل الجرمنتية هي التي أدت إلى ازدهار التجارة عبر الصحراء.

- تنوع السلع التجارية القادمة من الصحراء بواسطة القوافل الجرمنتية إلى المحطات وفي مقدمتها الأحجار الكريمة، والعاج، وبيض النعام وريشه، والذهب والفضة، وجلود الحيوانات.

- ترتب على غزو الرومان لشمال أفريقيا، نهاية العلاقة التجارية الودية بين الجرامنت والمحطات التجارية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:-

1 – المصادر الكلاسيكية:-

- Herodotus I.
- Strabon, 1, 11.
- Silius ltalicus, punica, 1, Book 111.

2 – المصادر المعربة:-

- هيرودوت، الكتاب الرابع، منشورات جامعة قاريونس، ترجمة محمد المبروك الذويب، بنغازي – ليبيا، 2003م.
- استرابون، الكتاب السابع عشر، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي – ليبيا، 2003م.
- كلاوديوس بطوليميوس "وصف ليبيا (قارة أفريقيا) ومصر" ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي – ليبيا، 2004م.

ثانياً: المراجع:-

1 – المراجع العربية:-

- محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م.
- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1974م.
- رشيد الناضوري، المغرب الكبير في العصور القديمة، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

- حسين الشيخ، اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.
- هنري سي عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، جروس برس، طرابلس – لبنان، 1991م.
- خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2001م.
- عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، دار صادر، بيروت، 1971م.
- فيصل علي أسعد الجربي، الفينيقيون في ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، 1425م.
- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001م.
- نجم الدين غالب الكيب، لبدة الأسم والنشأة والتاريخ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، د.ت.
- طه باقر، لبدة الكبرى، مصلحة الآثار، طرابلس – ليبيا، د.ت.
- أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته – ليبيا، 1993م.
- راضية أبوعجيلة صالح بن خليفة، أوجه التشابه والاختلاف بين الاستيطان الفينيقي والإغريقي في ليبيا القديمة، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2009م.
- محمد علي عيسى، مدينة صبراته، أمانة التعليم والتربية، مصلحة الآثار.
- محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م؛ أندريه إيماروجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، ج1، الشرق واليونان القديمة، منشورات عويدات، بيروت، 1986م.
- رشيد الناضوري، المغرب الكبير العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1981م.
- محمد سليمان أيوب، جرمه من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي، 1969م.
- سالم محمد هويدي، الحضارة الجرمية دراسة في عوامل النشوء والازدهار والانهيار، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2010م.
- بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبولقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، 1988م.
- أحمد الياس، "سلع التجارة الصحراوية" الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1979م.
- علي فهمي خشيم، قراءات ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس – ليبيا، د.ت.
- رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998م.

2 – المراجع المعربة:-

- ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ط3، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، شركة كتب الشرق الأوسط، 1948م.
- فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ط3، ج1، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- فيليب حتى، لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة – بيروت، 1959م.
- هـــ.س. كاوبر، مرتفع الآهات الجمال، ترجمة أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس – ليبيا، 1897م.

- د.ج ماتينغلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة محمد الطاهر الجراري، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2009م.
- جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ط2، ترجمة عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري، مكتبة الفرجاني، طرابلس – ليبيا، 1993م.
- هنري لوت، لوحات تسيلي قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس – ليبيا، 1967م.

3 – المراجع الأجنبية:-

- Merighi Antonie, La Tripolitania Antica, Vol. 1, Airoldi Editore verbenia, 1940.
- Bates, O., The Eastern Libyans, frankcass, coltd, 1970.

ثالثاً: الدوريات:-

1. محمود الصديق أبوحامد، "مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس"، مج، ليبيا في التاريخ، منشورات كلية الآداب، الجامعة الليبية، 1968م.
2. جمعة حسين المحفوظي "ليبيا والحضارة الفينيقية والبونيقية" مجلة الثقافة العربية، العددان السابع والثامن، السنة السادس والعشرون، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 1988م.
3. محمد سليمان أيوب، "جرمة في عصر ازدهارها من 100 إلى 450م" مج، ليبيا في التاريخ، منشورات كلية الآداب، الجامعة الليبية، 1968م.